التَّوظِيفُ الاسْتِعَارِيُّ للتَّقَارُضِ اللُّغَويِّ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

دِراسَةٌ بَلاغِيَّةٌ تَحلِيلِيَّةٌ

د/إيهاب عبد الفتاح أحمد

مدرس بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بني سويف

المستخلص

يَرصدُ هذا البحث التَّوظيفَ الاستعاريَّ للتَّقَارُضِ اللُّغَويِّ، وبيانَ دلالاتِه البلاغيَّةِ التي أنتجها في السِّياق القُرآنِيِّ، حيث إنَّ جماليَّاته لا تكمنُ في مجرّدِ خرقِ المألوفِ فحسب، وإنَّما في النَّواتجِ الدِّلاليَّةِ داخل نسيجِ النَّصِ، واحتمالِه وجهًا آخرَ من المعنى يقوم على تجاوُزِ المُعتَادِ بالنسبةِ للاستعمالِ اللُّغَويِّ للكلمةِ داخلَ التَّركيبِ.

الكلمات المفتاحية :

التوظيف . الاستعاري . التقارض . السياق . القُرآنِيّ . الدلالية.

Abstract:

The current paper highlights the metaphorical employment of linguistic borrowing, showing its rhetorical connotation resulted in the qur'anic context. Since aesthetics of linguistic borrowing is not identified in breaking the ordinary, it is embodied in the connotative products of the text. Moreover, on the linguistic aspect, another implicit meaning of the text is based on going beyond what is familiar regarding the word in the text structure.

Key Words:

Employment - metaphorical - borrowing - context - Quranic - connotative.

المقدمة :

ثمة تحوّل حدث في دراسة الظواهر اللغوية في إطار البلاغة العربية وردت إليها منذ تحدّث البلاغيون عن وجوه الإعجاز القرآني، وعن خصوصية التركيب الجمالي فيه، فقد أحدث النص القرآني اهتزازًا في نفس متلقيه، وبالتالي في ذائقته البلاغية التي راح يتلمسها في بنية الآية القرآنية، وفي ألفاظها، وفي تناغم حروفها، وحسن مجاورة اللفظة مع أختها، والمنطق اللغوي الذي يؤلف بين مجموع الكلمات، فمنحه بهذا حرية في اكتشاف دلالاته المتجددة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدِّراسة لتُمثِّل أُنمُوذجًا لدراسة بلاغيَّةِ النَّظمِ القُرآنيِّ في آياتٍ جمع بينها فَنٌّ لغويٌّ بلاغيٌّ هو فَنُّ التَّقارُضِ، ولمَّا كان هذا الفنُّ مستعملاً في القرآن في مواضع كثيرة، فقد وقع الاختيار على آياتٍ تميَّزت به بوصفه ظاهرةً أسلوبيَّةً طريفةً؛ ومن ثَمَّ توضّحُ أثرَ التَّوظيفِ الاستِعَارِيِّ للتقَارُضِ بَينَ الألفَاظِ، وَتَوجِيهَه البّلاغِيَّ في السِّياقِ القُرآنِيِّ.

الدراسات السابقة

لم أَقفْ على مَنْ دَرَسَ التوظيف الاستعاري للتقارض بين الألفاظ في القرآن الكريم كاشِفًا عن مقاصدِه البلاغيَّةِ، إلّا مَا وَجَدتُّه فِي بعض الدراسات جَاءت مُقتَصِرةً عَلى رَصدِ ظاهِرةِ التقارض فِي النَّحوِ العَرَبِي أو فِي القُرآنِ الكَرِيمِ غَيرَ كَاشِفَةٍ عَن دِلالَتِهَا الاستعَارِيّةِ وَمقَاصِدِهَا البَلاغِيَّةِ، وَهُو مَا انْعقَدَتْ دِراسَتُنا لَه.

منهج الدراسة

قَامتْ الدِّراسَةُ عَلى المَنهَجِ التَّحلِيلِيِّ الاسْتِنبَاطِيِّ للآيَاتِ القُرآنِيَّةِ، تَحلِيلاً للتقَارُضِ اللُّغَوِيّ بَينَ الألفَاظِ فِي النَّظمِ القُرآنِيّ، واستِنبَاطًا للمَعَانِي الاستِعارِيَّةِ الكَامِنَةِ فِيهَا، وَمقَاصِدِهَا البَلاغِيَّةِ، مُعتَمِدَةً عَلَى أُمَّهَاتِ الكُتُبِ اللُّغَوِيَّةِ والنَّحْوِيَّةِ الأُصولِ، وبَعضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ، وبَعْضِ الدِّراسَاتِ التِي عَنِيَتْ بِظاهِرةِ التَّقارُضِ.

تمهيد

يُعدّ التَّقَارُضُ(*)اللُّغَوِيُّ خُروجًا عن وظيفة اللغةِ النَّفعيَّة إلى الإبدَاعيَّةِ، ففيه يَستعِيرُ أَحدُ اللفظَيْنِ ـ اسمًا كان، أو فعلاً، أو حرفًا ـ حُكْمًا خَاصًّا من الآخَرِ ويَجرِي مَجْرَاه؛ ويكون ذلك على ثلاثةِ أنماطٍ؛ الأول: نمط

(*) القَرْضُ والقِرْضُ: ما يَتَجازَى به الناسُ بينهم ويَتَقاضَوْنَه، وجمعه قُرُوضٌ، وهو ما أَسْلَفَه من إحسانٍ ومن إساءة، وهو على التشبيه؛ قال تعالى: وأَقْرِضُوا اللّه قَرْضًا حَسَنًا. ويقال: أَقْرَضْتُ فلانًا وهو ما تُعْطِيهِ لِيَقْضِيَكَه. وكلُّ أَمْرٍ يَتَجازَى به الناسُ فيما بينهم، فهو من القُروضِ. وقال أَبو إِسحق النحوي في قوله تعالى: مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللّه قَرْضًا حسَنًا، قال: معنى القَرْضِ البَلاء الحسَنُ، تقول العرب: لك عندي قَرْضٌ حَسَنٌ وقَرْضٌ سَيِّء، وأَصل القَرْضِ ما يُعطيه الرجل أَو يفعله لِيُجازَى عليه، واللّه

يَستعيرُ فيه اللفظُ حُكمًا إعرابيًّا، نحو: إلا وغير؛ حيث يتقارض كل واحد منهما حكما إعرابيًا من الآخر، فالأصل في استعمال (غير) أن تكون صفة للنكرة، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ** ﴾ سورة فاطر: (الآية ٣٧)، فكلمة(غير)صفة لـ(صالحا)، لكنها تقترض من(إلا)حكمها فتفيد الاستثناء، وتعرب إعراب الاسم التالي (إلا)، نحو قولنا: نجح الطلاب غيرَ طالب، بنصب(غير)، إذ إنها عوملت معاملة(إلا)في الاستثناء، وأعربت إعراب الاسم التالي لـ(إلا). والأصل في (إلا) أن تكون أداة استثناء، نحو قوله تعالى: ﴿**فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ**﴾ سورة البقرة :(الآية ٢٤٩)، فكلمة(قليلا)مستثنى منصوب بعد (إلا)، لكنها تقترض من(غير)حكمها في الوصف بها، نحو قوله تعالى: ﴿ **لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾، فـ(إلاّ) في الآية صفة للنكرة قبلها(آلهة)بمعنى(غير)؛ أي:(لو كان فيهما آلهة غيرُ الله)، فهي مسوقة في الآية لنفي التعدد، ولا يصح أن تكون ها هنا استثناء، لأن المعنى على الاستثناء(لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، وذلك يقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا)، وهذا باطل([1]).

والثاني: نمط يَستعيرُ فيه اللفظُ الشَّكلَ والهيئةَ، نحو: الحال والتمييز، فالأصل في الحال أن تكون مشتقة من المصدر دالة على متصف نحو: جاء زيد مبتسمًا، لكنها قد تأتي في الجملة مقترضة الجمود من التمييز، نحو قولنا: بعته مدًّا بدرهم، فمدًّا حال جامدة، أي بعته مسعرًا كلّ مدّ بدرهم. والأصل في التمييز أن يكون جامدًا، نحو: حَسُن محمد مظهرًا، لكنه قد يأتي في الجملة مقترضًا الاشتقاق من الحال، نحو: كفى بالله حافظًا. فـ"حق الحال الاشتقاق، وحق التمييز الجمود، وقد يتعاكسان، فتأتي الحال جامدة، كهذا مالك ذهبًا، ويأتي التمييز مشتقًا نحو: لله دره فارسًا"([2])، ويتعاكسان أي يقترض كلٌّ منهما هيئة الآخر.

عزّ وجلّ لا يَسْتَقْرِضُ من عَوَزٍ ولكنه يَبْلُو عباده، فالقَرْضُ كما وصفنا؛ قال لبيد: (وإذا جُوزِيتَ قَرْضا فاجْزِه، إنما يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ) معناه إذا أُسْدِيَ إليكَ مَعْروفٌ فكافِئْ عليه. وقال الأَخفش في قوله تعالى: يُقْرِضُ، أَي يَفْعَلُ فِعْلاً حسنًا في اتباع أَمر اللّه وطاعته. والعَربُ تقول لكل مَن فعلَ إِلَيه خَيْرًا: قد أَحْسَنْتَ قَرْضِي، وقد أَقْرَضْتَني قَرْضًا حسنًا.راجع لسان العرب لابن منظور دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ مادة قرض ج٧ ،ص ٢١٦ ، ٢١٧.

([1]) انظر ابن هشام: كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق، ص ٩١٥. وكذلك انظر السيوطي : جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ـ مصر ،ج ٢ ، ص ٥٦٨. وكذلك السامرائي: فاضل، معاني النحو، دار الفكر ـ الأردن،ط ١، ٢٠٠٠ م .

([2]) الأشموني: علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان،ط١ ، ١٩٩٨م، ج٢ ، ص ٥٦ .

والثالث: نمط يَستعيرُ فيه اللفظُ دلالةً ومَعْنى، وتبَاعًا لهَذَا النمط فإنَّ التقارضَ يُعَدُّ تَحَوُّلًا شَكليًّا يتبعُه تحوُّلٌ عَمِيقٌ يُمتَحُ من مقاماتٍ سِياقيّة تُحدِثُ تَغيُّرًا في النَّاتجِ الدِّلالِيِّ، خاصة حينما تكون استعارته غريبة غير متداولة، ولا يتنبَّهُ إليها إلاَّ فَطِنٌ بليغ، ومن ثمّ يصبح هذا النمط أنسب وأقرب إلى طبيعة دراستنا، خاصة فيما يتعلق بالسّياق القرآني المعجز في بيانه وأسلوبه، وذلك على نحو ما يلي من محاور.

المحور الأول: التقارض بين الأسماء في التعبير القرآني

تتبع القيمة البلاغية للتقارض بين الأسماء في التعبير القرآني من التوظيف الاستعاري القائم على نقلِ الاسم من شيءٍ عُرف به إلى شيءٍ آخر لم يُعرف به؛ بغية المبالغة، أو إيضاح ما خفي أو أُشكِل على الأفهام؛ ومن ثمّ فإن الاستعارة(*)الكامنة في التقارض" تُخرج من الصدفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثَّمر...فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخُرسَ مُبينةً، والمعانيَ الخفيّةَ باديةً جليّةً...إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطَّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون"([1]).

وهكذا يكون التقارض قادرًا على أن يخلق استجابة في نفس المخاطب للحالة الشعورية الكامنة في نفس المبدع إزاء موقف ما، وهكذا يشاركه تلك الحالة فيذعن لقوله انبساطًا وانقباضًا؛ من ذلك التقارض الذي ورد في قصيدة الحطيئة التي يستعطف فيها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)([2]):

مَــاذَا تَقُــولُ لأَفْــرَاخٍ بِذِي مَـرَخٍ زُغْبِ الْحَوَاصِلِ لا مَاءٌ وَلا شَجَرُ [من بحر البسيط]

(*) عرف علماء البلاغة الاستعارة تعريفات عديدة، فهي عند الجاحظ: تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه. وعند المبرد: نقل اللفظ من معنى إلى معنى، وعند ابن قتيبة: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له إذا كان المسمى به بسبب من الآخر أو كان مجاورًا له أو مشاكلًا، وعند ثعلب: أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه. وهي عند ابن المعتز استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها. وهي عند عبد العزيز الجرجاني: تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة. وعند العسكري، نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره. وعند عبدالقاهر الجرجاني: أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفًا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله نقلا غير لازم فيكون هنا كالعارية، وعند الرازي: ذكر الشيء باسم غيره، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه. وعند ابن الأثير: نقل المعنى من لفظ إلى لفظ للمشاركة مع طيّ ذكر المنقول إليه. وعند السكاكي، أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه به. وهي لدى ابن أبي الأصبع: تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه، ولدى القزويني: هي ما كانت علاقتها المجاز بما وضع له. وعند العلوي: تصييرك الشيء، وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس هو بحيث لا يلحظ معنى التشبيه لا صورة ولا حكمًا.

([1])الجرجاني: عبد القاهر، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٣.

([2])انظر الأصفهاني: أبو الفرج، كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، ط١/ ١٩٢٨م،ج٢ ، ص١٨٦ وما بعدها.

فقد وقع التقارض في هذا البيت بين اسمي(الأولاد والأفراخ)؛ حيث استعار الحطيئة لضعف أولاده وعدم قدرتهم على الكسب لفظ أفراخ، والفَرْخُ: في الأصل ولدُ الطَّائِر، وأفرخَ الطائرُ: صَارَ ذا فَرْخ. وهي استعارة تصريحية إيحائية أثارت الرحمة والرأفة في قلب عمر(رضي الله عنه)، فأطلق صراحه بعد أن اشترى منه أعراض المسلمين، وعاهده ألا يعود إلى هجائهم .

والتقارض في الاسم على نمطين؛ الأول باعتبار كونه اسمًا جامدًا، والثاني باعتبار كونه اسمًا مشتقًا:

<u>أولاً: التقارض باعتبار الاسم الجامد</u>، ومثله قول الله تعالى:﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ سورة الإسراء(الآية٢٤). وسياق الآية يشتمل على عبارات رقراقة نَديّة بكل ألوان الرحمة تلمس وجدان الأبناء في سياق وصيّة محكمة جازمة ترتبط بأصول التشريع؛ إنها وصية البرّ، والإحسان، والبَذل، والمواساة، ولين الجانب من الابن تجاه أبويه؛ أحدهما أو كليهما، وقد ارْتَقى السّياق القرآني في الوصيّة إلى حدِّ التَّواضُعِ والذُّلِّ؛ "لِإزالَةِ وحْشَةِ نُفُوسِهِما إنْ صارا في حاجَةٍ إلى مَعُونَةِ الوَلَدِ؛ لِأنَّ الأبَوَيْنِ يَبْغِيانِ أنْ يَكُونا هُما النّافِعَيْنِ لِوَلَدِهِما"([1]).

وقد وقع التقارض في سياق الآية بين اسمي(التواضع والتذلّل)؛ حيث اقتضى المقام استعارة هيئةَ خفضِ الطّائِرِ جناحيه لهيئة تواضع الوَلَدِ لوالدِيه؛ ذلك أنّ الطائر إذا أراد أن يضمَّ فرخه إليه للتربية خفض له جناحَه، ومن ثمّ يكون خفضُ الجناح من الولد حُسنَ تربيةٍ تجاه والديه، كما أنّ الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نَشرَ جناحَه، وإذا أراد تركَ الطيران خفضَه، فصار خفضُ الجناح من الولد، وتركُه الاندفاع وراء حياته وذريته، والمستقبل بكل مغرياته، والتفاتُه إلى والديه والإحسانُ إليهما حُسنَ معاشرة؛ إذْ يَخْفِضُ جَناحَهُ مُتَذَلِّلًا متواضعًا. وهكذا أثبت السياق للمشبه(البارّ بوالديه)ما يخص المشبه به(الطائر)وهو الجناح، وهذا التقارض على طريقة الاستعارة الأصلية لأن الاسم المستعار اسم جامد، وهي استعارة مكنية تخييلية؛ فهي مبنيةٌ على مضمون المعنى الكنائي، حيث حذفُ المشبَّه به والكناية عنه بشيء من لوازمهِ وهو الجناح. والجَناحُ تَخْيِيلٌ بِمَنزِلَةِ الأظْفارِ لِلْمَنِيَّةِ في قَوْلِ أبِي ذُؤَيْبٍ :

وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفارَها ألْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ [من بحر الكامل]

يدّعي السبعية للمنية في اغتيال النفوس، ومن ثم جعل لها شيئًا من لوازم المشبه به(أنشبت أظفارها).

ومثله قوله تعالى: ﴿ **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ سورة البقرة(الآية ٢٥٦). وسياق الآية مبنيٌّ على تصويرٍ حِسيٍّ لحقيقةٍ معنويةٍ؛ فالمؤمن الذي اهتدى إلى الدّين القويم بقواعده الثابتة وأركانه الراسخة، يكون على ثقةٍ من أمره، فلا يشرد ولا يضلّ؛ لأنه متمسّك بالعروة الوثقى. وقد وقع التقارض

([1])ابن عاشور: الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس ، ط ١٩٨٤ هـ ،ج ١٥ ،ص ٧٠.

في سياق الآية بين اسمي(الاعتقاد والعروة)؛ والعُرْوَةُ في الأصل هي الحَلْقَةُ في طَرَفِ شَيْءٍ لِيُقْبَضَ عليه مِنهُ، كالعُرْوَةِ في الحَبْل يُشَدّ طَرَفُهُ إلى بَعْضِهِ ويُعْقَدُ فَيَصِيرُ مِثْلَ الحَلْقَةِ فِيهِ، وهكذا اقتضى المقام هنا استعارة هيئةَ عُروة الحَبْلِ المُحْكَمة لهيئة دلائل الدين القويّة التي يتمسّك بها المؤمن في طريقه إلى ربّه، فالمُؤْمِنُ ثابِتُ اليَقِينِ في الدُّنْيا غير مضطرب، ناجٍ في الآخِرَةِ من السقوط في الهاوية؛ إذ إنه قد تَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ حَبْلٍ مَتِينٍ لا ينقطع أبدا([1]). وهَذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية الأصلية؛ فهي تصريحية حيث شبه ملازمة الحق الذي لا يحتمل الشكّ بالتمسّك بالحبل المتين الذي لا ينقطع، فطوى ذكر المشبه الاعتقاد الحق وصرّح بالمشبه به العروة المحكمة، وهي أصلية لأن الاسم المستعار اسم جامد.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ سورة البقرة(الآية ١٣٨). وسياق الآية يأتي ضمن سياقات إعلان وحدة القاعدة التي تنطلق منها الرسالات السماوية، وهي قاعدة قائمة على عقيدة الإيمان التي صبغ الله بها تلك الرسالات، ومن يعرض عن تلك العقيدة يظل في شقاق؛ فهي صبغة الله التي تطهر قلب المؤمن، وترشده، وتحفظ عليه فطرته. وقد وقع التقارض في سياق الآية بين اسمي(الصبغ والإيمان)، والصَّبغُ هو تلوين الأشياء بألوان معينة، نحو ما يلون به الثياب ويصبغ. ومما اقتضاه المقام هنا إطلاق الصَّبغ على الإيمان؛ وهو مناسب لاختلاط الإيمان بقلب المؤمن اختلاط الألوان في الثوب المصبوغ ونحوه، وفي تشرّب نسيج الثوب للأصباغ شبهٌ بتشرّب لطباع الإيمان، فيكون الإيمان صبغة ثابتة دائمة تخالط مداركه ولا تنحلُّ عنه. وهذا التقارض على طريقة الاسْتِعارَةِ التصريحيّة الأصلية، فقد استعار الصبغ(اسم جامد) للإيمان لمشاكلة قوله: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ سورة الْبَقَرَة:(الآية ١٣٦)، فطوى ذكر المشبه وصرّح بالمشبه به، "والمشاكلة من المحسِّنات البديعيَّة ومرجعها إلى الاستعارة وإنَّما قصد المشاكلة باعثٌ على الاستعارة، وإنَّما سمّاها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التَّشبيه فأغفلوا أن يسمُّوها استعارة وسمُّوها المشاكلة، وإنَّما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ للفظ وقع معه. فإن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكورًا فهي المشاكلة، ولنا أن نصفها بالمشاكلة التَّحقيقيَّة...وإن كان اللفظ غير مذكورٍ بل معلومًا من السِّياقِ سُمِّيت مشاكلة تقديريَّة "([2]).

([1])انظر الآلوسي: شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ١٤١٥ هـ ،ج٢ ،ص١٥ . وكذلك انظر الرازي: فخر الدين، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت،ط ٣ ،١٤٢٠ هـ، ج ٧ ،ص١٦. وكذلك انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مصدر سابق ،ج٢، ص ٢٩.

([2]) ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج١ ،ص ٧٤٤ .

والتقارض في الاسم الجامد إما أن يكون تقارضًا لفظيًّا أو معنويًّا؛ أما التقارض اللفظي في الاسم الجامد، فنحو قوله تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ**﴾ سورة الأعراف(الآية٢٦). وقع التقارض في سياق الآية في لفظة (الريش)، وهي اسم من أسماء الذوات استعير من ريش الطير، واقتضى مقام استقباح التعرّي إطلاق الريش ـ الذي هو لباس الطير وزينته ـ على مواراة السوأة، وهذا تقارض على طريقة الاستعارة المكنية، حيث شبه الأمر بالتقوى التي تستر عورات القلوب وتزينها، بالأمر بلبس الثوب الذي يستر عورات الجسد ويزينه.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾سورة الأنفال(الآية ٧). وقع التقارض في سياق الآية في لفظة (الشَّوْكَة)، وهي اسم من أسماء الذوات استعير من واحدة الشوك للشِّدَّة والحدَّة، أو السِّلَاح، واقتضى مقام بيان فضل الله على المؤمنين رغم ما بهم من خوف وجزع، إطلاق الشوكة على النفير، وهذا تقارض على طريقة الاستعارة المكنية، "وذلك من تشبيه المعقول بالمحسوس أي تودُّون الطّائفة التي لا يُخشى بأسُها تكونُ لكم أي ملككم فتأخذُونَهم"([1]).

وأما التقارض المعنوي في الاسم الجامد، فنحو قوله تعالى: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾سورة آل عمران(الآية ١٢٥). وقع التقارض في سياق الآية في لفظة (فور)، وهي اسم من أسماء المعاني استعير من غليان الماء وفورانه للسرعة، واقتضى مقام تثبيت الله للفئة المؤمنة إطلاق الفور على السرعة، وهذا تقارض على طريقة الاستعارة المكنية، حيث شبّه مبادرة المشركين وسرعتهم للأخذ بثأر قتلاهم في بدر بغليان الماء في القدر، وإضافة الفورِ إلى الضمير العائد على المشركين؛ " لإفادةِ شِدَّةِ اختصاصِ الفورِ بهم، أي شدَّة اتِّصافهم به حتى صار يعرف بأنَّه فورُهم"([2]).

<u>ثانيًا: التقارض باعتبار الاسم المشتق</u>، ومثله قوله تعالى: ﴿ **أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ** ﴾ سورة البقرة : (الآية ١٦). وسياق هذه الآيةِ جاء في سلسلة الحديث عن المنافقين الذين ظنُّوا أنفسهم أذكياءَ أدهياءَ، وهم على قدرٍ كبيرٍ من الغفلةِ والبلادةِ، كما أنَّهم يدّعُون الصّلاحَ وهم مفسدون، وينسبون السَّفه للمؤمنين مستهزئين، وإنّما كانوا هم السُّفهاء المستهزأ بهم، وهذه خصالٌ إنّما تتوفّر للمنافقين خاصة دون غيرِهم.

([1]) ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٩،ص ٢٧٠.

([2])المصدر نفسه، ج٤ ، ص ٧٦ .

وقد وقع التقارض بين اسمي(الاشتراء والاختيار)، والاشتراء استبدال السلعة بالثمن، وقد اقتضى مقام التهكم من سفه رأيهم، وسوء مسلكهم إطلاق الاشتراء على الاختيار؛ ذلك أنّهم اشتروا الضَّلالة بالهدى، الذي هو مبذولٌ إليهم جبلّةً وفِطرةً، ومؤيّدًا بالأدلّة، والأماراتِ، والمعجزاتِ، لكنّهم استَحَبُّوا العمى والتّيهَ، فباعوا الهُدى الذي بين أيدِيهِم، وهو بمثَابةِ الشّيءِ العَينِيّ(المُثَمَّنِ)في مقابلِ الضَّلالِ، وهو بمثابةِ الثَّمَنِ، فخَسِرُوا الصفقةَ بأكمَلِها؛ رِبْحًا ورأسَ مالٍ، فقد أضاعوا الربحَ المُحَقَّقَ عن رأسِ المَالِ حين أضَاعُوا رَأسَ المالِ ذاتَه، وذلك أبشعُ الخَسائر. وهذا التقارض على طريقة الاسْتِعارَةِ التصريحيّة التبعية؛ فهي استعارة تصريحية من حيث حذف المشبه وذكر المشبه به، وتبعية لأن الاشتراء مشتق من الفعل اشتروا.

ومثله قوله تعالى:﴿ **وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ سورة البقرة: (الآية ٣٩). في سياق تهكم وسخرية من دعوى بني إسرائيل الإيمان، جاء التعبير القرآني يكشف كذبهم وتبجحهم، فقد كانوا إذا دُعوا للإسلام قالوا: نؤمن بما جاءنا به موسى ونكفر بما وراءه، ولكن حقيقة أمرهم أنهم كفروا بما جاء به موسى عليه السلام وهو بين ظهرانيهم، فليس في التوراة التي جاء بها عبادة العجل، لكنه التمرد وحب المعصية. وقد وقع التقارض بين اسمي(الإشراب والعبادة)، والإشراب بمعنى السَّقي، "وإنَّما جُعلَ حبُّهم العجلَ إشرابًا لهم للإشارةِ إلى أنَّه بلغ حبُّهم العجل مبلغ الأمرِ الَّذِي لا اختيار لهم فيه كأنَّ غيرهم أشربهم إيّاه كقولهم: أُولِعَ بِكَذا وشُغِفَ...وإنَّما شُغِفُوا بِهِ استحسانًا واعتقادًا أنَّه إلهُهم وأنَّ فِيهِ نَفْعَهم لأنَّهم لمّا رَأوه من ذهب قدَّسوه من فرطِ حُبِّهمُ الذَّهَبَ"([1]). وقد اقتضى مقام التوبيخ والذم إطلاق الإشراب على عبادتهم العجل أو تأليههم له؛ إشارة إلى أن شغفهم به بلغ من قلوبهم مبلغ الأمر الخارج عن إرادتهم. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛فهي تصريحية حيث طوى ذكر المشبه (العبادة)، وصرّح بالمشبه به(الإشراب)، وتبعية لأن الإشراب اسم مشتق من الفعل أُشربوا.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَوَيلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرقَدِنَا**﴾ سورة يس:(الآية ٥٢).وسياق الآية يحكي مشهدًا من مشاهد يوم القيامة؛ حيث يتساءل المكذبون بيوم الحساب في دهشة وذعر بعد بعثهم من القبور: من بعثنا من مراقدنا؟! إنها الدهشة التي صرفت تعجبهم من حُصُولِ البعث إلى التَّعَجُّبِ مِن فاعِلِهِ؛" لِأَنَّ الأفْعالَ الغَرِيبَةَ تَتَوَجَّهُ العُقُولُ إلى مَعْرِفَةِ فاعِلِها لِأنَّهم لَمّا بُعِثُوا وأُزْجِيَ بِهِمْ إلى العَذابِ عَلِمُوا أنَّهُ بَعْثٌ فَعَلَهُ مَن أرادَ تَعْذِيبَهم"([2]). وقد وقع التقارض بين اسمي(الرُّقاد والقبر). واقتضى مقام التحسر والتأسف من مآلهم، إطلاق الرقاد الذي هو في الحقيقة النوم والاضجاع على موضع موتهم؛ إشارة إلى أنهم لما ذاقوا العذاب في جهنم،

([1]) ابن عاشور: الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج١ ،ص ٦١١ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢٣، ص ٣٧.

صار ما عاينوه في قبورهم منه كالنوم. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، فهي تصريحية حيث طوى ذكر المشبه(الموت)، وصرّح بالمشبه به(الرقاد)، وهي تبعية باعتبار الاسم المستعار، لأن المرقد(اسم مكان) وهو موضع الموت مشتق من الرقاد وهو الموت.

ومثله قوله تعالى:﴿ **إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة:(الآية ١٦٩). وسياق الآية يحذر الناس من وساوس الشيطان وتزيينه وتحريضه لهم على فعل الخبائث، واتباع الأهواء والشهوات، واجتراح السيئات. وقد وقع التقارض بين اسمي(الأمر والتزيين) واقتضى مقام التحذير إطلاق الأمر على التزيين؛ لكشف عداوته وكيفية تزيينه وإغوائه. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، فهي تصريحية حيث شبه تزيين الشيطان بأمر الآمر، فحذف المشبه(التزيين)، وصرّح بالمشبه به(يأمركم)، وتبعية باعتبار الاسم المستعار لأن الأمر مشتق من الفعل يأمر.

والتقارض في الاسم المشتق يكون تقارضًا معنويًّا، نحو قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ سورة فصلت(الآية ٣٩). وقع التقارض في سياق الآية في لفظة (خاشعة)، وهي اسم من الأسماء المشتقة استعير من حالة الإنسان حين تسكن حواسه لحالة الأرض حال سكونها قبل نزول المطر، واقتضى مقام التذلّل والتضرّع إطلاق الخشوع على الأرض الخالية من النبات، وهذا التقارض على طريق الاستعارة التمثيلية المكنية؛ فهي تمثيلية حيث شَبَّه حالَ الأرضِ الجَدْبة، ثُمَّ إنزالِ الماءِ عليها وانقلابِها من القحولةِ إلى الخصبِ والإنْباتِ البَهيجِ بِحالِ شَخصٍ كان كئيبًا كاسفَ البالِ رَثَّ اللباس، ثمَّ إذا أصابه شيء من الترف والغنى، فلبسَ الزِّينة واختالَ في مشيهِ زَهْوًا، وفي قوله خاشعة واهتزت استعارة مكنيّة، حيث شبّه الأرض بِشَخْصٍ كانَ ذَلِيلًا ثُمَّ صار مهتَزًّا لعِطفَيه(١) .

المحور الثاني: التقارض بين الأفعال في التعبير القرآني

تمتح القيمة البلاغية للتقارض بين الأفعال في التعبير القرآني من التوظيف الاستعاري القائم على نقلِ المعنى من فعل إلى آخر بحروفه الدالة على الحدث، وهيئته الدالة على الزمان، وبالتالي تتنوع الدلالات الفيّاضة بالمعاني بتنوع الحدث؛ إذ " لم تعد الأزمنة ظروفًا مجردة تبين زمن وقوع الحدث، حيث إن المخالفة قد أفادت من قدرة ذلك العامل على التحكم في سياق الحدث، وتسيير دلالته في مسارات متباينة، فتكشفت مادة الحدث ذات البساطة في الظاهرة عن دلالات أعمق، بين واقع، وإمكان، واستحالة، ووجوب وجواز، وقرب وبعد، وسرعة، وقوة وضعف، وعلو في الرتبة وانحطاط، ومعلوم ومجهول، ونحو ذلك مما لم يكن

(١)انظر الآلوسي: روح المعاني، مصدر سابق، ج ١٢ ،ص ٣٧٧ . وكذلك ابن عاشور: التحرير والتنوير، مصدر سابق ج٢٤ ، ص ٣٠٢

للفعل مجردًا من سياقه، أو حتى بدلالته الزمنية الأولية المنبثقة عن الصيغة قدرة على إبرازه لولا وظيفة العامل الزمني الذي يستوحي وجهة السياق فيكشف عن خواص ومزايا في الأحداث التي يحتويها"([1]).

والتقارض في الفعل على نمطين؛ الأول باعتبار مادته، والثاني باعتبار صيغته؛ وعلى التقارض باعتبار مادة الفعل جاء قوله تعالى:﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾ سورة الكهف:(الآية ٩٩) . وسياق الآية يحكي جانبًا من قصة يأجوج ومأجوج حين يخرجون مندفعين من وراء السدّ، وقد ماجَ بعضهم في بعضٍ بعد أن صيّر الله السدّ دكّاء؛ يخرجون يموجون مزدحمين في البلاد،" يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابَّه ثمَّ يأكلون الشَّجر، ويأكلون لحوم النّاسِ"([2]).

وقد وقع التقارض بين فعلي(يموج ويتدافع)، واقتضى مقام التخويف في سياق الآية إطلاق الفعل يموج ـ وأصله حركة أمواج البحار التي يختلط فيها الماء بعضه ببعض ـ على تدافُع(يأجوج ومأجوج)المضطرب السريع المتتابع؛ إيذانًا بقيام الساعة. وهو تقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ فهي تصريحية حيث طوى ذكر المشبه وصرّح بالمشبه به، وتبعية باعتبار اللفظ المستعار وهو الفعل يموج.

وعلى التقارض باعتبار صيغة الفعل جاء قوله تعالى:﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ سُورَةُ النَّحْلِ:(الآية ١). وسياق الآية جاء بلفظ الفعل في الماضي في سياق أحداث شأنها أن تأتي في المستقبل؛ فقد استبطأ المشركون ما أُنذروا به من زوال شوكتهم وذهاب شدتهم، فصاروا يسخرون بالنبي والمسلمين، لذا جاء التعبير القرآني في هذه الآية يوحي بمضي أمر الله وتحققه في موعد قُدِّر له لا استعجال فيه ولا تأخير.

وقد وقع التقارض بين فعلي(أتى وسيأتي)؛ واقتضى مقام التقرير بتحقيق الوقوع إطلاق الفعل في الماضي على الإتيان في المستقبل، كأنه لصدق وقوعه وحقيقته قد وقع بالفعل. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، فهي تصريحية حيث شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي في صدق وقوعه، وطوى ذكر المشبه وصرّح بالمشبه به، وهي تبعية باعتبار صيغة الفعل، فقد استعار الإتيان في صيغة الماضي للإتيان في صيغة المستقبل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَىٰٓ أَصحَٰبُ ٱلجَنَّةِ أَصحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَد وَجَدنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَل وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُم حَقًّا قَالُوا نَعَم** ﴾ سورة الأعراف: (الآية ٤٤). وسياق الآية يظهر شماتة أهل الجنة بأهل النار في عواقب تعنتهم وجحودهم؛ إذ كانوا يحسبونهم قد ضلوا حين فارقوا دين الشرك وأسلموا لله ربّ العالمين، وصانوا أنفسهم من شرك المعاصي والانغماس في ملذات الدنيا.

([1])الغمري :ظافر، بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل،مكتبة وهبة القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٨م ، ص٤٩٨.

([2])الرازي: فخر الدين، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، مصدر سابق،ج٢١ ، ص ٥٠٠.

وقد وقع التقارض بين فعلي(نادى وينادي)؛ واقتضى مقام التنغيص والتكدير بتحقق وعْد المؤمنين بالنعيم المقيم الذي لا يزول ولا يحول، ووعْد الكافرين بالعذاب المهين إطلاق فعل النداء في الماضي على النداء في المستقبل، كأنه لصدق وقوعه وحقيقته قد وقع بالفعل. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، فهي تصريحية حيث طوى ذكر المشبّه وصرّح بالمشبّه به، وتبعية باعتبار صيغة الفعل، فقد استعار النداء في صيغة الماضي للنداء في صيغة المستقبل تحقُّقًا.

والتقارض في الفعل باعتبار مادته أو صيغته إما أن يكون في زمن الماضي أو المضارع أو الأمر؛ فأما الذي يكون في الفعل الماضي، فنحو قوله تعالى: ﴿**ولَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ما لَهُ في الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ**﴾ سورة البقرة: (الآية ١٠٢). وسياق الآية يحكي جزءًا من تعنت يهود بني إسرائيل، فقد تركوا ما أنزل الله من التوراة، وراحوا يتتبعون دعاوى الشياطين المكذوبة عن سليمان عليه السلام، وما يضللون به الناس من أنه كان ساحرًا ، وإنه سَخّر الجنّ عن طريق السّحر الذي كان يعلمه ويستخدمه .

وقد وقع التقارض بين فعلي(اشترى واختار)، واقتضى مقام التهكم من سوء مسلكهم إطلاق الشراء الذي يعني استبدال سلعة ما بالثمن على الاختيار؛ إذ إنَّهم لما نبذوا كتاب اللَّه وراءَ ظهورهم، وتمسّكوا بما تَتْلُو الشَّياطينُ من السحر، كأنهم باعوا الهُدى الذي بين أيدِيهِم، وهو بمثابة الشيء العينيّ(المُثمَّن)في مقابل الضَّلال، وهو بمثابة الثَّمن، فخسروا كلَّ نصيب لهم في الآخرة حين أضاعوا رأس مالهم وهو كتاب الله . وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحيّة التبعية؛ فهي استعارة تصريحية من حيث حذف المشبه وذكر المشبه به، وتبعية من حيث الاستعارة في الفعل اشتراه .

وأما الذي يكون في الفعل المضارع، فنحو قوله تعالى: ﴿ **يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحْبارِ والرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أمْوالَ النّاسِ بِالباطِلِ**﴾ سورة التوبة: (الآية ٣٤). يستطرد السياق في بيان حقيقة الأحبار والرهبان الذين اتخذهم أهل الكتاب أربابًا من دون اللّه، فاتبعوهم فيما يشرعون لهم، وهم فيما يشرعون يأكلون أموال الناس دون مبرر، ويصدون عن الناس عن اتباع محمد .

وقد وقع التقارض بين فعلي(يأكل ويأخذ)، واقتضى مقام الاستهزاء من هؤلاء الأحبار والرهبان إطلاق الأكل على أخذ مال الناس تقبيحًا لحالهم، وتنفيرًا للسّامعين عنهم؛ لأنهم لا يستحقون المقام الديني الذي ينتحلونه. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ فهي استعارة تصريحية من حيث شبّه أخذهم الرشا بالأكل، وحذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به، وهو قوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ﴾،" والسبب في هذه الاستعارة،

أنَّ المقصود الأعظم من جمع الأموال هو الأكل، فسُمّي الشَّيءُ باسم ما هو أعظم مقاصده"([1])، وهي استعارة تبعية في الفعل يأكلون.

وأما الذي يكون في الفعل الأمر، فنحو قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾ سورة القمر: (الآية ٤٨). وسياق الآية يحكي مشهدًا مروّعًا من مشاهد يوم القيامة، ذلك أنّ أهل الضلال والمجرمين يُجرُّون على وجوههم في النار، ويقاسون حرَّها وآلامَها، فيجتمعُ لهم العذاب النفسيّ والحسيّ معًا .

وقد وقع التقارض بين فعلي(ذُقْ واحْسُسُ) ،واقتضى مقام التحقير لهؤلاء المجرمين إطلاق الذوق على الإحساس. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ فهي استعارة تصريحية من حيث شبّه إحساسهم بالألم بالتذوق، وحذف المشبه وصرّح بالمشبه به، "وفيه حكمةٌ وهو أنَّ الذَّوق من جُملةِ الإدراكاتِ فإنَّ المذُوق إذ لاقى اللسان يُدرِكُ أيضًا حرارتَه وبرودتَه وخشونتَه وملاستَه، كما يُدرِكُ سائرُ أعضائِه الحسّيَّة، ويُدرِكُ أيضًا طَعمَه ولا يُدرِكُه غير اللسانِ، فإدراكُ اللسان أتمُّ، فإذا تأذّى من نارٍ تأذّى بحرارته ومرارته إن كان الحارُّ أو غيرُه لا يُتَأذّى إلا بحرارته، فإذن الذَّوقُ إدراكٌ لَمْسِيٌّ أتَمُّ من غيره في الملموساتِ...فيجتمع في العذاب شِدَّتُه وإيلامُه بطول مُدَّته ودَوامِه"([2])، وهي استعارة تبعية في الفعل ذوقوا.

المحور الثالث: التقارض بين الحروف في التعبير القرآني

توسعت العرب في استخدام الحروف فأقامت القريب منها في المعاني بعضها مقام بعض، والتقارض بين الحروف" بابٌ في العربية دقيق المداخل والمخارج، ويفضي إلى غير قضيَّة، وهو بابٌ يمسك النُّحاةُ منه بطرَف، وأهل البيان بطرف آخر؛ لأنَّه بابٌ يُسَلَّطُ فيه النَّظر على المبنى والمعنى، وللعلماء فيه مذاهب شتَّى، ودروب متباينة، وتأويلات مختلفة، ولكنَّه على ما فيه من عناء ممتع شائق لطيف؛ لأنَّ النظر فيه عمل من أعمال العقل، تنقدح الحقائق للنَّاظر فيه بعد طول تأمل وإمعان نظر"([3]).

والتقارض في الحروف على نمطين؛ الأول باعتبار اسْتِعارَةِ مَعْنى الحَرْفِ إلى مَعْنًى آخَرَ، والثاني اسْتُعِيرَ الحَرْفُ تَبَعًا لِاسْتِعارَةِ مَعْناهُ ثُمَّ تَسْرِي الاستعارة مِنَ المَعْنى إلى الحَرْفِ؛ وعلى التقارض باعتبار اسْتِعارَةِ مَعْنى الحَرْفِ إلى مَعْنًى آخَرَ في التعبير القرآني جاء قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ سورة آل عمران: (الآية ٢٥). وسياق الآية سياق تهديد يخلع القلب،

([1])الرازي: فخر الدين، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، مصدر سابق،ج ١٦، ص ٣٤ .

([2])المصدر نفسه، ج ٢٩ ، ص ٣٢٥ .

([3]) عواد: محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٥م. ص٥ .

ويرجف النفس رعبًا، إنه تهديدٌ قائمٌ لأهل الكتاب، والمشركين، ولكل متولٍّ معرضٍ عن الله، تهديدٌ بلا ظلم في عذاب ولا محاباة في ثواب، فكلُّ امرئ رهين بمقدار ما كسب.

وقد وقع التقارض بين حرفي(اللام وفي)، واقتضى مقام التهويل والتفظيع إطلاق حرف الجر(اللام)على حرف الجر(في)؛ استحضارًا لكل لون من ألوان العذاب الواقع في يوم الحساب في ذهن المخاطب، وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التبعية، فَحَرْفُ(اللام)اسْتِعارَةٌ تَبَعِيَّةٌ تابِعَةٌ لِاسْتِعارَةِ مُتَعَلِّقِ مَعْنى(اللام)لِمُتَعَلِّقِ مَعْنى(في)، حيث شبّه ذهولهم مما يرونه من العذاب الواقع بهم حقيقة بذهول من وقع في شَرَكٍ ولا يملك حيلة ليخلّص نفسه، "وهو استعظام لما أعدّ لهم وتهويل لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه، وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون"([1]).

ومثله قوله تعالى: ﴿ **فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ** ﴾ سورة آل عمران:(الآية ١٥٣). وسياق الآية يحكي تجربة مرّة تعرض لها جيل الصحابة في معركة أُحُدٍ بعد أن خالف الرماة أمر النبي؛ ومن ثمّ ساور نفوسهم غمٌّ وندمٌ بعدما تركوا نبيَّهم ، وفرّوا هاربين من أرض المعركة في اضطراب ورعب دون أن يلتفت منهم أحدٌ إلى أحدٍ، ودون أن يلتفت أحدٌ منهم إلى نداء النبي لهم من خلفهم.

وقد وقع التقارض بين حرفي(الباء ومع)، واقتضى مقام اللوم والعتاب إطلاق حرف الجر(الباء)على حرف الجر(مع)؛ استحضارًا لكثرة الغمّ، والكرب، والهمّ، وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التبعية، فَحَرْفُ(الباء) اسْتِعارَةٌ تَبَعِيَّةٌ تابِعَةٌ لِاسْتِعارَةِ مُتَعَلِّقِ مَعْنى(الباء)لِمُتَعَلِّقِ مَعْنى(مع)؛ حيث شبّه تتابع الغموم على قلوبهم بتتابع حلقات العقد المتصلة بعضها ببعض، فهي "جُمْلَةُ الغُمُومِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِن خَيْبَةِ الأمَلِ في النَّصْرِ بَعْدَ ظُهُورِ بَوارِقِهِ، ومِنَ الِانْهِزامِ، ومِن قَتْلِ مَنْ قُتِلَ، وجَرْحِ مَنْ جُرِحَ"([2]).

ومثله كذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾ سورة طه: (الآية ٧١). وسياق الآية يأتي ضمن سياق عام يحكي تحوّلا وجدانيًّا في نفوس سحرة فرعون، حين انبعث نور الإيمان وأشرق في نفوسهم، فأدركت قلوبهم الحقيقة، فلمّا رأى فرعون إيمانهم اشتدّ غيظه، وأبرم أن يتشفّى منهم بالتقطيع والتصليب .

وقد وقع التقارض بين حرفي(الفاء وعلى)، واقتضى مقام التهديد إطلاق حرف الجر(في)على حرف الجر (على)؛ استحضارًا لشدّة تنكيل فرعون بالسحرة المؤمنين، وإفراطه في استخدام القوة الغاشمة، فكأنهم من شدّة تثبيتهم فوق الجذع وتمكّن الصلب منهم واقعون في وعاء الجذع. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة

([1]) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي / بيروت ط٣ - ١٤٠٧ هـ ، ج١، ص ٣٤٩.

([2]) ابن عاشور: الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج٤، ص ١٣٢.

التبعية، فَحَرْفُ(في)اسْتِعارَةٌ تَبَعِيَّةٌ تابِعَةٌ لِاسْتِعارَةِ مُتَعَلِّقِ مَعْنى(في)لِمُتَعَلِّقِ مَعْنى(على)؛ حيث شبّه تمكن المصلوب من جذوع النخل كتمكّن الشيء الواقع في وعائه، "وتَعْدِيَةُ فِعْلِ﴿**لَأُصَلِّبَنَّكُمْ**﴾بِحَرْفِ(في)مَعَ أنَّ الصَّلْبَ يَكُونُ فَوْقَ الجِذْعِ لا داخِلَهُ لِيَدُلَّ عَلى أنَّهُ صَلْبٌ مُتَمَكِّنٌ يُشْبِهُ حُصُولَ المَظْرُوفِ في الظَّرْفِ"([1]).

وعلى التقارض الذي اسْتُعِيرَ الحَرْفُ فيه تَبَعًا لِاسْتِعارَةِ مَعْناهُ ثُمَّ تَسْرِي الاستعارة مِنَ المَعْنى إلى الحَرْفِ جاء قوله تعالى: ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾ سورة القصص: (الآية ٨). وسياق الآية تتجلّى فيه القدرة الإلهية التي تعجز أمامها تدابير الطغاة، فبالرغم من البحث المستمر من عيون فرعون عن كلّ مولود ذكر يولد لقوم موسى ليقتلوه، فإن القدرة الإلهية تتحداهم دون مواراة أو إخفاء، وتدفعه إليهم ليكون لهم عدوًّا وحزنًا، وتُلقِي حبَّ الطفلِ في قلب امرأة فرعون ليزداد التحدّي، حين ينشأ موسى في قصر فرعون.

وقد وقع التقارض في استعمال الحرف(اللام)، واقتضى مقام السخرية استعمال(اللام)في غير ما وضعت له؛ استحضارًا لقمة التهكّم؛ ذلك أن علّة التقاط موسى هي الحبُّ والرأفة لا العداوة والحزن. وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ فهي تصريحية حيث شبّه غاية الالتقاط وهي المحبة والتبني بما ترتب على الالتقاط من العداوة والحزن، فطوى ذكر المشبّه وصرّح بالمشبّه به، وحَرْفُ(اللام)اسْتِعارَةٌ تَبَعِيَّةٌ تابِعَةٌ لِاسْتِعارَةِ مُتَعَلِّقِ مَعْنى(اللام)لِمُتَعَلِّقِ مَعْنى في الحرف ذاته.

<u>المحور الرابع: بلاغة التوظيف الاستعاري للتقارض اللغوي في التعبير القرآني</u>

يُعدُّ التقارض اللغويّ القرآني أكثر بلاغة في توكيد المعنى رغم ما فيه من تعقيد في تركيبه، ذلك أنه يناسب وظيفة الاستعارة الإنتاجية التي لا يواجه المخاطب منها إلا صورتها الأخيرة، وتزداد القيمة البلاغية للتوظيف الاستعاري للتقارض اللغوي القرآني بالاعتماد على الدلالة الإيحائية التخييلية، وهو إثبات معنى لا يعرفه المخاطب من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ، فلو قلنا: رأيت أسدًا، يكون التقارض قد وقع بين لفظي الأسد والرجل؛ والمراد من ذلك إثبات معنى لفظة الأسد، فنثبت للرجل أنه مساو للأسد في الشجاعة والجرأة، ويراد المبالغة في وصفه بالشجاعة وأنه لا يختلف عن الأسد في بأسه وبطشه وجرأة قلبه، ففي هذه العبارة أن ليس التقارض نقل اسم عن شيء إلى آخر، ولكن ادّعاء معنى الاسم لشيء، فلو" كان قولنا: رأيت أسدًا، بمعنى رأيت شبيهًا بالأسد، ولم يكن ادّعاء أنه أسد بالحقيقة، لكان محالًا أن يقال: ليس هو بالإنسان، ولكنه أسد "([2]).

([1])ابن عاشور: الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٦، ص ٢٦٥.

([2])الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني/ القاهرة ط ٣، ١٩٩٢م، ص ٤٣٤ : ٤٣٧ .

وتباعًا لتلك الطريقة جاء قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ سورة البقرة: (الآية٢٥٠). وسياق الآية يبرز مقام العبودية والتسليم لله والفزع إليه، حين توجّهت تلك الفئة المؤمنة بالدعاء(**رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا**)؛ طلبًا للسّكينة والثبات التي يفيضهما الله على قلوب عباده المؤمنين، فلا تزلّ أقدامهم في مواجهة العدوّ وإن كانوا قلّة. وقد وقع التقارض في الآية بين اسمي(الصبر والماء)، وهو توظيف استعاري يدلّ على المبالغة في طلبهم الصبر في ساحة القتال، وهو تقارض على طريقة الاستعارة المكنية التخييلية، حيث شبّه الصبر بالماء الذي يُصبُّ فيغمرهم، وينسكب عليهم، مبالغة في طلب السكينة والطمأنينة لهول المعركة ومشقتها، وكنّى عن الماء وأتى بشيء من لوازمه وهو الإفراغ. وهكذا تزداد بلاغة التوظيف الاستعاري للتقارض اللغوي في التعبير القرآني روعة وتقديرًا تباعًا لارتكازه على الدلالات الإيحائية التخييلية التي لا عهد للنفس بها.

ومما يناسب وظيفة الاستعارة الإنتاجية في التقارض اللغوي القرآني اعتمادها على التشخيص والتجسيم، وهما سبيل الخيال الخلاق في إبراز الحياة في صور جديدة، فيصير به الجماد حيًّا ناطقًا، والمعاني الخفية بادية جلية، والمعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وتشخيص المعاني عن طريق الحواس أمسّ بنفس المتلقي رحمًا، وأقوى إليها ذممًا، وأقدم لها صحبة، وآكدُ عندها حُرمة([1])، ومن لطيف هذا الجنس قول الصُّولي:

الرِّيح تَحْسُدُني عليـ كِ ولم أخَلْهَا في العِدَا [من مجزوء الكامل]

لَمَّـا هَمَمْتُ بقُبْلةٍ رَدّت على الوَجْهِ الرِّدَا

وذلك أن الريح إذا كان وجهها نحو الوَجْه، فواجب في طِباعها أن تردّ الرداء عليه، وأن تلُفّ من طرفيه، وقد ادّعى أن ذلك منها لحسدٍ بها وغَيْرَةٍ على المحبوبة، وهي من أجل ما في نفسها تَحُول بينه وبين أن ينال من وجهها. ونسبة الحسد والغيرة إلى الريح من باب التشخيص،لأنهما للإنسان لا للجماد.

وعلى هذه الطريقة من التوظيف الاستعاري للتقارض جاء قوله تعالى:﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ سورة الملك: (الآية:٨). وسياق الآية يصوّر شدّةَ غَلَيان جهنّمَ واضطرَابِها، حتى تكاد تتفاصل أجزاؤها من الغيظ الذي يحدث حركات تفجر داخلها. وقد وقع التقارض بين اسمي(جهنم والإنسان)؛ واقتضى مقام التخويف والترهيب إسناد الغيظ إلى جهنّم، وهو تقارض على طريقة الاستعارة المكنية، حيث شبّه جهنّم بإنسان شديد الغضب على غيره ويصرّ أن يُلحق به الضرر، وكنّى عن المُشَبَّهِ بِهِ وأتى بشيءٍ مِن لَوازِمِهِ وهو الغيظ. واستعارة الغيظ الذي هو أمر يدرك وجدانيًا، للدلالة به على أمر يحدث

([1])انظر الجرجاني:أسرار البلاغة،مصدر سابق،ص١٢٢.

داخل جهنم مما يمكن أن يتخيله المخاطبون تخيلا، ولكنهم لا يدركونه حسيًّا، ونسبة الغيظ لجهنّم من باب التشخيص لأنه للإنسان وليس الجماد.

وكذلك اعتمادها المبالغة بتناسي التشبيه، وكأن التقارض بين اللفظين غير موجود، وذلك بادّعاء أن المستعار له هو نفس المستعار به؛ و"بيان ذلك أنهم يستعيرون الصفة المحسوسة من صفات الأشخاص للأوصاف المعقولة، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها، وأدركوها بأعينهم على حقيقتها، وكأن حديث الاستعارة والقياس لم يجر منهم على بال، ولم يروه ولا طيف خيال. ومثاله استعارتهم(العلو)لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان، ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوًّا من طريق المكان. ألا ترى إلى قول أبي تمام: [من بحر المتقارب]

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الجَهُولُ بأنَّ لَهُ حَاجَةً في السَّمَاءِ

فلولا قصده أن يُنْسِيَ التشبيه ويرفعَه بجهده، ويصمم على إنكاره وجحده، فيجعله صاعدًا في السماء من حيث المسافة المكانية، لمَا كان لهذا الكلام وجه"([1]).

ومثاله إضفاء الحَياة علَى الجِدَارِ بِأنْ تكونَ لَه إرَادةٌ أو مَيلٌ قَلبِيٌّ إلى فعلِ شَيءٍ، ثم تنوسي التشبيه فجعل قرب سقوطه كإرادة من يعقل فعل شيء أراده. وذلك قوله تعالى: ﴿ **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ** ﴾ سورة الكهف: (الآية ٧٧). وسياق الآية يَتمَاشَى مع السِّيَاقِ الغَيْبِيّ وجُملةِ الأَسرَارِ التي تُفَاجِئُنَا بِها قصةُ مُوسَى عَليهِ السَّلامُ مَع الخضرِ، وقد سَجّلَ السِّيَاقُ القُرآنِيُّ فِي هذهِ القصّةِ ثلاثَ قَضَايَا غَيبِيّةٍ؛ قَضِيَّةِ خَرْقِ السّفِينةِ، وقَضِيَّةِ قَتلِ الغُلامِ، وقَضِيَّةِ إقَامَةِ الجِدَارِ دُونَ مُقَابلٍ، وهُو سِياقٌ يلتقِي بسِياقٍ عامٍّ يحْكُمُ السورَةَ بِأكْمَلِهَا؛ ليؤكّدَ عَلى أنَّ مَفَاتِحَ الغَيبِ بيدِ اللهِ لَا يَعلمُها إلّا هُو، يُدبِّرُ بِهَا أمْرَ الكَونِ حَسَبَ عِلمِه وحِكْمَتِه. وقد وقع التقارض في الفعل(يريد)، واقتضى مقام إظهار القدرة إثبات الإرادة للجدار، وهو تقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

وكذلك اعتمادها التمثيل، وهو يقع في بنية التقارض حيث يكون المستهدف البلاغي التعبير عن معنى بعبارة وضعية، ويتم العدول عن المعنى والعبارة، إلى معنى آخر يكون مساويًا للمعدول عنه([2])، من ذلك قول المتنبي:

فَمَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِد مُرًّا به المَاءَ الزُّلالا [من بحر الوافر]

([1])الجرجاني:أسرار البلاغة،مصدر سابق،ص٣٠٢.

([2])انظر عبد المطلب:محمد،البلاغة العربية قراءة أخرى،مرجع سابق،ص١٨٥ ،١٨٦.

يدل على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرًّا، لكنه لم يستعمله في هذا المعنى، بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري([1]).

وتباعًا لتلك الطريقة من التمثيل في بنية التقارض اللغوي جاء التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾سورة الحجر: (الآية٩٤). والصدع يدل معناه الأصلي على ما يكون من كسر في الآنية وغيرها، فيظهر ما وراءه من أشياء محجوبة، واقتضى مقام الإلزام في هذا السّياق استعارة هذا المعنى للدلالة به على الحال اللازمة للجهر بالدعوة وتبليغها، وما يترتب على ذلك من تصدّع لقلوب المشركين، فيظهر ذلك على وجوههم من ملامح الغضب والتشاؤم. وقد وقع التقارض بين اسمي(التبليغ والصدع) على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية التمثيلية؛ حيث صرّح بالمشبه به(الصدع)، واشتق منه الفعل(اصدع)في مقابل(بلّغ)، ومثّل بالتصديع لمناسبة المعنى .

وهكذا فإن بلاغة التوظيف الاستعاري للتقارض اللغوي في التعبير القرآني تكمن في إنتاج المعنى الذي يتكئ على الفاعلية الإنتاجية لأحد طرفيه حضورًا وغيابًا؛ ذلك أن التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية، تصبح فيه فاعلية الطرف الثاني(المستعار منه/ المشبّه به)على مستوى واحد، هو مستوى الحضور في حين يمارس الطرف الأول(المستعار له/ المشبّه)فاعليته على مستويين؛ الحضور والغياب، بينما يكون التقارض على طريقة الاستعارة المكنية أبلغ؛ لأن ردّ فعل المخاطب تجاه المكنية مدعوم بحركة ذهنية مكثفة، فكلما تكثفت الحركة الذهنية، كان ذلك أدعى لتكاثر ردود فعله؛ ومن ثم تفاعله مع الصورة لاحتياجها لمزيد من التأمل والتفكير؛ الأمر الذي يستدعي فاعلية المخاطب على مستويين؛ مستوى الغياب الذي يشغل ذهنه بالبحث عنه، ومستوى الحضور الكنائي أو التقديري.

وهناك دواع بلاغية تفرض غياب المستعار منه أو حضوره في سياق التقارض اللغوي؛ فأما التي تفرض غيابه، منها ما يلي:

أولا: الاحتراز عن العبث، وذلك إذا كان المستعار منه يفهمه المخاطب دون ذكر للفظ؛ لدلالة القرينة عليه، من ذلك قوله تعالى: ﴿**ولَمّا سَكَتَ عَنْ مُوسى الغَضَبُ أخَذَ الألْواحَ وفي نُسْخَتِها هُدًى ورَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ سورة الأعراف: (الآية ١٥٤). ففي سياق الآية دلّت القرينة(سكت)على تشبيه الغضب بشخص سيطر على موسى ودفعه إلى معاقبة أخيه وقومه، وإلى إلقاء الألواح، واقتضى مقام الامتنان أن يقع التقارض بين اسمي(الغضب والإنسان)؛ ذلك" أنَّ الغضبان يجِيشُ في نفسه حديثٌ للنَّفس يدفعه إلى أفعالٍ يُطفئ بِها ثَوَرانَ غضبه، فإذا سكنَ غضبُه وهَدَأتْ نَفسُه كان ذلِك بِمنزلة سكوت المُغرِي، فلذلك أُطلق عليه

([1])انظر البرقوقي:عبدالرحمن،شرح ديوان المتنبي،دار الكتاب العربي،لبنان . بيروت،١٩٨٦م،ج٣،ص ٣٤٤.

السُّكوت، وهذا يَستلزم تَشبيه الغضب بالنّاطِقِ المُغرِي على طرِيقة المَكنيَّة"([1])؛ إذ إنَّه طوى ذكر المشبه به ورُمِز إليه بشيءٍ مِن لوازمه وهو السُّكوت.

ثانيًا: إثارة الفكر وترضية دوافع نفس المخاطب في اعتماده على فكره في استنباط المعنى، فقد يُطوى ذكر المشبه به اعتمادًا على ذكاء المخاطَب، "حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير. والمتذوق للأدب لا يجد متاع نفسه في السياق الواضح والمكشوف إلى حد التعرية، والذي يسيء الظن بعقله وذكائه، وإنما يجد متعة نفسه حيث يتحرك حسه وينشط، ليستوضح ويتبين، ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز، وحين يدرك مراده، ويقع على طلبته من المعانى يكون ذلك أمكن في نفسه، وأملك لها من المعاني التي يجدها مبذولة في حاق اللفظ"([2])، من ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثاقِهِ ويَقْطَعُونَ ما أمَرَ اللَّهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ** ﴾ سورة البقرة: (الآية ٢٧). ففي سياق الآية دلّت القرينة(ينقضون)على تشبيه العهد بالحبل، واقتضى مقام التوبيخ أن يقع التقارض بين لفظي(العهد والحبل)، وإطلاق النَّقْض على إبْطالِ العَهْدِ، لأن في النقض دلالة على إفساد الحبل وزوال هيئته، واستحالة عودته على تلك الهيئة مرة ثانية، وهذا تقارض على طريقة الاسْتِعارَة المكنية، حيث شبّه العَهْد بِالحَبْلِ، وطوى ذكر المشبّه به وأتى بشيء من لوازمه وهو النقض، "ووجه اختِيارِ استِعارَةِ النَّقضِ الذِي هو حَلُّ طَيّاتِ الحَبلِ إلى إبطالِ العهد أنَّها تَمثِيلٌ لِإبطالِ العَهدِ رُوَيدًا رُوَيدًا وفي أزمنةٍ متكرِّرةٍ ومعالجةٍ، وَالنَّقضُ أَبلغُ فِي الدّلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما لأنَّ فِي النَّقض إفسادا لهيأة الحَبلِ وزَوال رجاءِ عَوْدِها وأمَّا القَطع فهو تَجزِئَةٌ. وفي النَّقضِ رمزٌ إلى استعارةٍ مكنيَّةٍ لأنَّ النَّقضَ من روادفِ الحبلِ"([3]).

ثالثًا: كون المشبه به مما يحسن ستره، ويقبح التصريح به، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ** ﴾ سورة الأعراف: (الآية ١٨٩). ففي سياق الآية دلّت القرينة(حملت)على تشبيه الجماع بالتغشي، واقتضى مقام العفّة أن يقع التقارض بين لفظي(تغشّى وجامع)، وإطلاق التغشّي على الجماع، لأن إتْيان الرَّجُلِ زوجته وقَدْ عَلاها يصيرُ كالغاشِيَةِ الساترةِ لَها، فهو غطاء لها وهي لباس له، وكلاهما يشمل الآخر بغاشيةِ العفاف والستر، وهذا تقارض على طريقة الاسْتِعارَة المكنية، حيث شبّه اعتلاء الرجل زوجته بالغطاء، وطوى ذكر المشبّه به وأتى بشيء من لوازمه وهو حملت، لأن المشبه به مما يحسن ستره، طلبًا للحياء، وتهذيبًا للأذواق.

([1]) ابن عاشور: الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ١٢٢ .

([2]) أبو موسى،محمد،خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني، القاهرة،ط ٤ ١٩٩٦م ،ص١٥٣ ،١٥٤.

([3]) ابن عاشور: الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١ ، ص ٣٦٨ .

رابعًا: استحقار المشبه والتقليل من شأنه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ سورة القصص: (الآية٤٠). ففي سياق الآية دلّت القرينة(نبذناهم)على تشبيه فرعون وجنوده بشيء بالٍ أو حصيات طرحت في البحر، واقتضى مقام التحقير أن يقع التقارض بين لفظي(الجنود والحصيات)، وإطلاق الحصيات على فرعون وجنوده، إمعانًا في تبيين قدرة الملك، وعظم شأنه، وقوة سلطانه، واستحقارًا لفرعون وجنوده، وإن كانوا العدد الكثير والجمّ الغفير، فقد أخذهم الله في كفّه وطرحهم في البحر، وهذا تقارض على طريقة الاستعارة المكنية، فقد طوى ذكر المشبّه به، وأتى بشيء من لوازمه(النبذ)؛ استحقارًا للمشبّه، فهو في ميزان الحق شيء تافه لا قيمة له.

خامسًا: ضيق المقام عن إطالة الكلام، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ سورة مريم: (الآية ٤). ففي سياق الآية دلّت القرينة(اشتعل) على تشبيه الشيب بالنار، واقتضى مقام الضعف والوهن أن يقع التقارض بين لفظي(الشيب والنار)، وإطلاق وهيج النار على شيب الرأس على طريقة الاستعارة المكنية؛ دلالةً على تقدّم السنّ به، وأمارةً على دنو أجله. ولضيق المقام عبّر باشتعال الرأس بالشيب، وهو تعبير حركيٌّ يصوّر سيطرت الشيخوخة على زكريا عليه السلام، وسريانها في جميع بدنه، وإضعاف قوته، كما تسري النار في الهشيم، فتجعله رمادًا. إنها معاناة نفسية ناجَى بها زكريا ربّه، فما أحوجه في حالته هذه إلى ولد صالح يرث دعوته من بعده، ويحسن الوراثة فيكون رحيمًا بمن حوله.

سادسًا: قصد التشويق، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ**﴾ (سورة يس: الآية ٣٧). وفي سياق الآية دلّت القرينة(نسلخ) على تشبيه النهار بالجلد، واقتضى مقام الإقرار بربوبيّة الله (عزّ وجَلّ) أن يقع التقارض بين لفظي(النهار والجلد)، وإطلاق سلخ الجلد ـ الذي هو في الأصل للشاة وغيرها من الحيوانات ـ على انبثاق الضوء من عتمة الليل، قصد للتشويق وإثارة لذهن المخاطب، وهذا تقارض على طريقة الاستعارة المكنية،" فشبه النهار بجلد الشاة ونحوها يغطي ما تحته منها كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح، وشبه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن نحو الشاة، فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده، وليس الليل بمقصود بالتشبيه، وإنما المقصود تشبيه زوال النهار عنه، فاستتبع ذلك أن الليل يبقى شبه الجسم المسلوخ عن جلده"([1]).

وأما التي تفرض حضور المشبّه به (المستعار منه)، منها ما يلي:

أولًا: الاحتياط بذكر المشبه به خشية التباس المراد على المخاطب إذا تم حذفه، من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ**

([1]) ابن عاشور: الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٢٣ ، ص ١٨ .

حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ سورة الرعد:(الآية١٧).

ففي سياق الآية استُعير إنزال الماء الذي به الحياة لإنزال القرآن الذي به الهُدى، واقتضى مقام التطمين والتخويف وقوع الاقتراض بين الماء والحق، وكذلك الاقتراض بين قلوب الناس والوديان، وكذلك الاقتراض بين الزبد والباطل، وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية، حيث شبّه هيئة نزولِ الآياتِ فينتفِعُ بها مَنْ ذاق حلاوة الإيمان، ويُعرِض عنها من زاغت قلوبهم، بهيئة نزولِ الماء على الجبال والتّلال وجريانه في الوديان، فيتسبب اندفاعه بحدوث غثاءٍ لا ينفع أحدا ثمَّ لم يلبث أن يفنى ويبقى الماء النافع. وقد صرّح بالمشبّه به (المستعار منه) خشية الالتباس على ذهن المخاطب في إدراك تلك التشبيهات التي تركبت منها الاستعارة .

<u>ثانيًا: زيادة الإيضاح والتقرير</u>، من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ سورة الملك: (الآية ٢٢). وسياق الآية يصوّر حالَ المشركِ واضطِرابه، وهو سياق غَرضُه أَنْ يُقرّبَ إلى الأذهان بشيء من الإيضاح والتقرير حالَ الشّقِيّ الضَّالِّ المنكودِ، المحروم من هداية الله؛ إذ يسير في طريق يُغاير حركةَ هذا الوجود، وحياةَ الإيمان والاستقامة.

وقد وقع التقارض بين اسمي(الانكباب والتشتت)، واقتضى مقام الاستنكار والتعجب تشبيه حال المحروم من الهداية بحال المكبّ على وجهه، وذلك على طريقة الاستعارة التصريحية التمثيلية؛ فهي تصريحية حيث شبّه الشقيّ الضالّ بالمنحني المطأطئ يقتفي آثار السائرين، فطوى ذكر المشبّه وصرّح بالمشبّه به، وهي تمثيلية تمثّل لحال الكافر في تشتت أمره بين آلهته التِي يَعبدُها مِن دونِ اللهِ، وشكّه في الاستفادة منها كمن سلك طريقًا مُعوجّة، فأصبح تائهًا يتلمّسُ آثَارَ النَّاسِ لَعلّه يَهتَدِي بِهَا. وقد وُظّف التقارض في هذه الاستعارة لتجسيم حال ذلك الكافر لتكون قريبة إلى الأذهان، وهي استعارة مأخوذة من طبيعة الحياة في الصحراء، حيث الطرق الوعرة، واقتفاء الآثار. إنّه سِياقٌ يَعقِدُ مقَارَنَةً بينَ حَالِ أهل الكفر وَحَالِ أهلِ الإيمَانِ فِي صورةٍ حيّةٍ تجسّم لهم حقيقةَ أمرِهم، أفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وجْهِهِ أهْدى أمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ؟.

<u>ثالثًا: إرادة التعظيم والتفخيم</u>، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ** ﴾ سورة الصافات: (الآية١٠٢). في سياق تأنيس لنفس إبراهيم عليه السلام جاء التعبير القرآني عن تكليفه بذبح ولده بالرؤيا المناميّة؛ دفعًا لمشقة ذلك التكليف، ومراعاة لحال إبراهيم" والمقصود من هذا الابتلاء إظهارُ عَزْمِهِ وإثباتُ عُلُوِّ مَرتبتِهِ في طاعةِ رَبِّهِ...فبعد أن أقرَّ اللَّهُ عينَه بإجابةِ سُؤْلِهِ وتَرَعْرُعِ ولَدِهِ أمَرَهُ بأن يَذبَحَه، فينعدِمَ نَسْلُه، ويَخِيبَ أمَلُه، ويَزُولَ أُنسُه، ويتَوَلّى بِيدِهِ إعدامَ

أَحَبِّ النُّفُوسِ إليه، وذلك أعظمُ الابتلاءِ. فقابَلَ أمرَ رَبِّهِ بِالِامتِثالِ وحصلتْ حكمةُ اللَّهِ مِنَ ابتِلائِهِ، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾ [الصافات: ١٠٦] "([1]).

وقد وقع التقارض بين فعلي (أرى ورأيت)، واقتضى مقام الرضى والانقياد لأمر الله إطلاق الرؤيا في صيغة المضارع على الرؤيا في صيغة الماضي؛ فالرؤيا قد وقعت بالفعل، وكان حقُّ الكلام أن يقول: (إنّي رأيت)، لكنه عبر بـ أَرَى، وهذا التقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، فهي تصريحية حيث طوى ذكر المشبّه وصرّح بالمشبّه به تعظيمًا للأمر وتفخيمًا له، وتبعية باعتبار صيغة الفعل، فقد استعار الرؤيا في صيغة المضارع للرؤيا في صيغة الماضي؛ للدلالة على تكرار الرؤيا واستمرارها للامتثال بها؛ دفعًا للتوهم حتى لا يظنّ أنها من الخيالات الباطلة؛ ومن ثمّ جاء ردّ إسماعيل عليه السلام ـ لأنه يعلم مقام أبيه وأنّ الشيطان لا يجد إليه سبيلا ـ" افعل ما تُؤْمَرُ بعدُ مِنَ الذَّبحِ الَّذي رأيْتَهُ في مَنامِكَ، ولَمّا كانَ خِطابُ الأبِ (يا بُنَيَّ) عَلى سَبِيلِ التَّرَحُّمِ قالَ هُوَ: (يا أبَتِ) عَلى سَبِيلِ التَّوْقِيرِ والتَّعْظِيمِ، ومَعَ ذَلِكَ أتى بِجَوابٍ حَكِيمٍ لِأنَّهُ فَوَّضَ الأمْرَ حَيْثُ اسْتَشارَهُ، فَأجابَ بِأنَّهُ لَيْسَ مُجاوِزَها وإنَّما الواجِبُ إمْضاءُ الأمْرِ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرِينَ**﴾ عَلى قَضاءِ اللَّهِ تَعالى ذَبْحًا كانَ أوْ غَيْرَهُ "([2]).

رابعًا: إرادة التهويل، ويظهر ذلك فيما يثير ذكره في النفوس من مشاعر الخوف والرهبة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ سورة النحل: (الآية ١١٢). والإذاقة تدل في معناها الأصلي على تذوق اللسان للطعام وحاله، واللباس يدل في معناه الأصلي على ما يرتديه المرء من ثياب، واقتضى مقام التنكيل في هذا السياق استعارة هذين المعنيين للدلالة به على تمكُّن آلام الجوع والخوف من أهل تلك القرية جزاء كفرهم بنعم الله، كتمكُّن الطعام بعد تذوقه في بطونهم. وكذلك إحاطة ما ألمّ بهم من الجوع والخوف، كإحاطة الثوب بلابسه.

وقد وقع التقارض بين اسمي(الخوف والجوع، والإذاقة واللبس)على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ حيث صرّح بالمشبه به اللباس والإذاقة تهديدًا وتخويفًا لمن يكفر بنعم الله، وتبعية في الفعل أذاق، ومثّل بأذاقها لباس الجوع والخوف للدلالة على ملازمة آلام الجوع والخوف كملازمة الطعام والثياب.

([1]) ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٢٣،ص ١٥٠.

([2]) الآلوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق، ج ١٢ ، ص ١٢٤ .

خامسًا:إرادة التحقير،ومثله قوله تعالى:﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ سورة البقرة: (الآية ٧). وسياق الآية يرسم صورة لقلوب الكافرين؛ إنها قلوب مظلمة جاحدة متمادية في الغَيِّ؛ معْرضة عَن الحق لا يؤثِّرُ فِيها الإنْذارُ؛ ولا يَنْفُذُ إليها الإيمان .

وقد وقع التقارض بين فعلي(ختم ومنع)، واقتضى مقام السّخط في سياق الآية إطلاق الفعل ختم ـ وأصله السدّ وإحكام الغلق ـ على مَنْعِ قلوب هؤلاء من نفاذ الحق إليها، ومنع أسماعهم من سماع الآيات والنذر، كما تختم أفواه الأواني بمادة عازلة. وهو تقارض على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية؛ فهي تصريحية من حيث تَشْبِيه عَدَمِ إذعان القلوب للحق بِالخَتْمِ وحذف المشبه وصرّح بالمشبه به، وتبعية باعتبار اللفظ المستعار وهو الفعل ختم .

وفِي الأخِيرِ نُجمِلُ القَولَ حولَ الأَسرَارِ البَلاغيَّةِ للتوظِيفِ الاستعاري للتقارض اللغوي في القُرآنِ الكَرِيمِ؛ إذ يَتضِح لنَا مَا يَلِي :

ـ تعدُّد المواضع الّتي تَرَدَّدَ التقارض اللغوي فيها في السياق القرآني.

ـ أصبح التقارض اللغوي في السياق القرآني ظاهرةً تفرض نفسَها على الدَّرْسِ اللّغويّ والبلاغي؛ فالنّصُّ القرآنيُّ مُعجِزٌ في بيانِه وأسلوبه، ولا شكّ أنّ التقارض اللغوي له أهمّيّتُه وأثرُه في المعنى ـ خاصة المعنى الاستعاري ـ وما ينتج عنه من تغيُّراتٍ في الدّلالةِ تستدعي استجلاء مقاصده البلاغيّة .

ـ الدراسة البلاغية للنظم القرآني في آياته وسوره أمرٌ ضروريٌّ في تطوير الدرس البلاغي نظريًّا وتطبيقيًّا.

ـ كشفت عينة الدراسة من الآيات التي توفرت فيها هذه الظاهرة،عن العلاقة الوطيدة بين علمي اللغة والبلاغة، وأوضحت أثر المعاني الوظيفية للتقارض اللغوي في البلاغة القرآنية .

ـ التقارض اللُّغَويُّ خُروجٌ عن وظيفة اللغةِ النَّفعيَّة إلى الإبدَاعيَّةِ، ففيه يَستعِيرُ أَحدُ اللفظَيْنِ ـ اسمًا كان، أو فعلاً، أو حرفًا ـ حُكْمًا خَاصًّا من الآخَرِ ويَجرِي مَجْرَاه.

ـ التقارض اللُّغويُّ على ثلاثةِ أنماطٍ؛ نمطٍ يَستعيرُ فيه اللفظُ حُكمًا إعرابيًّا، ونمطٍ يَستعيرُ فيه اللفظُ الشَّكلَ والهيئةَ، ونمطٍ يَستعيرُ فيه اللفظُ دلالةً ومَعْنى.

ـ التقارضَ اللُّغويُّ تَحَوُّلٌ شَكليٌّ يتبعُه تحوُّلٌ عَمِيقٌ يُمتَحُ من مقاماتٍ سِياقيّة تُحدِثُ تَغيُّرًا في النَّاتجِ الدِّلالِيِّ

ـ التقارض اللُّغويُّ بنيةٌ ثنائيةُ الإنتاج؛ إنتاج صياغي يتجاوزه الذهن إلى إنتاج آخر دلالي يوازيه.

ـ لا تختلف فاعلية التقارض اللغوي بشكل خاص عن فاعلية الاستعارة بشكل عام، إذ تتركّز فاعلية كلّ منهما على إنتاجها؛ حيث يسير الإنتاج الدلالي لهما في ثلاثة خطوط رئيسة(الاسم، والفعل، والحرف)، تعتمد الحركة الذهنية عند المتلقي في استخلاص المعنى.

ـ بالنظر في كيفية إدراك المتلقي للمعنى الاستعاري في التقارض اللغوي، فإن هذا المعنى يتفاوت ظهورًا وخفاءً في مستويات أربعة، كما هو الحال بالنسبة للاستعارة بشكل عام؛ وهي التصريحية، والمكنية، والأصلية والتبعية .

ـ تتبع القيمة البلاغية للتقارض بين الأسماء في التعبير القرآني من التوظيف الاستعاري القائم على نقلِ الاسم مِن شَيْءٍ عُرِف بِه إِلَى شَيْءٍ آخر لَمْ يُعْرَفْ بِه؛ بغية المبالغة، أو إِيضَاحِ ما خَفي أو أُشكِل على الأفهام.

ـ تمتح القيمة البلاغية للتقارض بين الأفعال في التعبير القرآني من التوظيف الاستعاري القائم على نقلِ المعنى من فعل إلى آخر بحروفه الدالة على الحدث، وهيئته الدالة على الزمان، وبالتالي تتنوع الدلالات الفيّاضة بالمعاني بتنوع الحدث.

ـ توسعت العرب في استخدام الحروف فأقامت القريب منها في المعاني بعضها مقام بعض، والتقارض بين الحروف بابٌ في العربية دقيق المداخل والمخارج، ويفضي إلى غير قضيَّة، وهو بابٌ يمسك النُّحاةُ منه بطرَف، وأهل البيان بطرف آخر؛ لأنَّه بابٌ يُسَلَّطُ فيه النَّظر على المبنى والمعنى.

ـ مما يزيد من قيمة التوظيف الاستعاري للتقارض اللغوي البلاغية في السياق القرآني؛ شموله على عنصر التخييل، والتمثيل في إنتاج المعنى؛ومن ثم تتسع رقعة الظلال التي تسبح فيها المعاني الاستعارية التي يريد تصويرها السياق القرآني أو بثّها.

ـ تعددت المقاصد البلاغية للتقارض اللغوي في السياق القرآني .

ـ يعدّ التوظيف الاستعاري للتقارض اللغوي من ألطف أساليب البلاغة القرآنية وأدقها، فهي تمكّن المتكلم من التعبير عن أمور كثيرة، يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمّا احترامًا للمخاطب، أو للإبهام على السّامعين، أو للنيل من خصمه، دون أن يدعَ له سبيلا عليه، أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية .

المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا: المطبوعات

١. ابن الأثير :ضياء الدين،المثل السائر،تعليق أحمد الحوفي،وبدوي طبانة،دار نهضة مصر،ط٢.
٢. ابن عاشور :الطاهر ،التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر – تونس ط ١٩٨٤ هـ .
٣. ابن هشام: كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر- دمشق.
٤. أبو موسى،محمد،خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني،مكتبة وهبة / القاهرة،ط ٤ ١٩٩٦م.
٥. الأشموني: علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان،ط١ ، ١٩٩٨م.
٦. الأصفهاني: أبو الفرج، كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، ط١/ ١٩٢٨م،ج٢ .
٧. الألوسي: شهاب الدين،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تحقيق علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ ، ١٤١٥ هـ .
٨. البرقوقي: البرقوقي:عبدالرحمن،شرح ديوان المتنبي،دار الكتاب العربي،لبنان . بيروت،١٩٨٦م.
٩. الباقلّاني: أبوبكر ، إعجاز القرآن الكريم،تحقيق أحمد صقر، ط ٣ ،دار المعارف/ مصر، ١٩٧١ .
١٠. التفتازاني:سعدالدين،مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني،ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية،بيروت.
١١. الجرجاني:عبد القاهر
١٢. ـ أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر،مطبعة المدني القاهرة.
١٣. ـ دلائل الإعجاز،تحقيق محمود شاكر،مطبعة المدني القاهرة .
١٤. حبنّكة:عبدالرحمن حسن،البلاغة العربية:(أسسها وعلومها وفنونها)،دار القلم/دمشق،ط١ ،١٩٩٦م .
١٥. الرازي: فخر الدين، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت،ط ٣ ،١٤٢٠ هـ
١٦. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي / بيروت ط٣ ـ ١٤٠٧ هـ .
١٧. السبكي: بهاء الدين،عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت .
١٨. السامرائي: فاضل، معاني النحو، دار الفكر ـ الأردن،ط ١، ٢٠٠٠ م .

١٩. السيوطي:جلال الدين:
ـ الإتقان في علوم القرآن،تعليق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق/ سوريا ،ط١ ، ٢٠٠٨م .
ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ـ مصر .
٢٠. شبايك:عيد محمد،الشاهد الشعري في مبحثي الفصاحة والبلاغة٣/٣،دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية،حقوق النشر محفوظة لموقع الألوكة ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
٢١. القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١١ ،١٢.
٢٢. عبدالمطلب: محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، دار نوبار للطباعة/القاهرة، ط٢/٢٠٠٧م.
٢٣. عواد: محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٥م.
٢٤. الغمري: ظافر، بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، مكتبة وهبة القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٨م ، ص٤٩٨.
٢٥. النيسابوري: أبو القاسم، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي / بيروت، ط ١ ،١٤١٥ هـ .